@ 441 @ والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له ، أو سمي إحداث ا خلقاً لأنه لا يحدث شيئاً لحكمته إلاّ على وجه التقدير من غير تفاوت . فإذا قيل : خلق ا كذا فهو بمنزلة إحداث ا وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق ، فكأنه قيل : وأوجد كل شيء فقدره في إيجاده متفاوتاً . وقيل : فجعل له غاية ومنتهى ، ومعناه { فَقَدَّرَهُ } للبقاء إلى أمد معلوم . وقال ابن عطية : تقدير الأشياء هو حدها بالأمكنة والأزمان والمقادير والمصلحة والاتقان انتهى . .

{ وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ ءالِهَةً } الضمير في { وَاتَّخَذُواْ } عائد على ما يفهم من سياق الكلام لأن في قوله { وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ } دلالة على ذلك لم ينف إلاّ وقد قيل به . وقال الكرماني : الواو ضمير للكفار وهم مندرجون في قوله { لّلْعَالَمِينَ } . وقيل : لفظ { نَذِيراً } ينبىء عنهم لأنهم المنذرون ويندرج في { وَاتَّخَذُواْ } كل من ادعى إلهاً غير ا ، ولا يختص ذلك بعباد الأوثان وعباد الكواكب . وقال القاضي : يبعد أن يدخل فيه النصارى لأنهم لم يتخذوا من دون ا آلهة على الجمع . والأقرب أن المراد به عبَدة الأصنام ، ويجوز أن يدخل فيه من عبد الملائكة لأن لعبادها كثرة انتهى . ولا يلزم ما قال لأن { وَاتَّخَذُواْ } جمع و { ءالِهَةً } جمع ، وإذا قوبل الجمع بالجمع تقابل الفرد بالفرد ، ولا يلزم أن يقابل الجمع بالجمع فيندرج معبود النصارى في لفظ { ءالِهَةً } . .

ثم وصف الآلهة بانتفاء إنشائهم شيئاً من الأشياء إشارة إلى انتفاء القدرة بالكلية ، ثم بأنهم مخلوقون ذاتاً أو مصنوعون بالنحت والتصوير على شكل مخصوص ، وهذا أبلغ في الخساسة ونسبة الخلق للبشر تجوز . ومنه قول زهير : % (ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري .

. %)

وقال الزمخشري : الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله { وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً } والمعنى أنهم آثروا على عبادته عبادة آلهة لا عجز أبَيْنَ من عجزهم ، لا يقدرون على شيء من أفعال ا ولا أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيئاً وهم يفتعلون لأن عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير { وَلاَ يَمْلِكُونَ لاِنفُسِهِمْ } دفع ضرر عنها ولا جلب نفع إليها ، وهم يستطيعون وإذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع الذي يقدر عليه العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التي لا يقدر عليها إلاّ ا أعجز . .

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ } . قال ابن عباس : هو النضر بن الحارث وأتباعه ، والإفك أسوأ لكذب . { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ } ، قال مجاهد : قوم من اليهود ألقوا أخبار الأمم إليه . وقيل : عداس مولى حويطب بن عبد العزّى ، ويسار مولى العلاء بن الحضرمي ، وجبر مولى عامر وكانوا كتابيين يقرؤون التوراة أسلموا وكان الرسول يتعهدهم . وقال ابن عباس : أشاروا إلى قوم عبيد كانوا للعرب من الفرس أبو فكيهة مولى الحضرميين . وجبر ويسار وعداس وغيرهم . وقال الضحاك : عنوا أبا فكيهة الرومي . وقال المبرد : عنوا بقوم آخرين المؤمنين لأن آخر لا يكون إلاّ من جنس الأول انتهى . وما قاله لا يلزم للاشتراك في جنس الإنسان ، ولا يلزم الاشتراك في الوصف . ألا ترى إلى قوله { فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ } فقد اشتركتا في مطلق الفئة ، واختلفتا في الوصف . .

والظاهر أن الضمير في { فَقَدْ } عائد على { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ } والمعنى أن هؤلاء الكفار وردوا ظلماً كما تقول : جئت المكان فيكون جاء متعدياً بنفسه قاله الكسائي ، ويجوز أن يحذف الجار أي بظلم وزور ويصل الفعل بنفسه . وقال الزجاج : إذا جاء يستعمل بهذين الاستعمالين وظلمهم أن جعلوا العربي يتلقن من العجمي كلاماً عربياً أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب ، والزور إن بهتوه بنسبة ما هو بريء منه إليه . وقيل : الضمير عائد على قوم آخرين وهو من كلام الكفار ، والضمير في { وَقَالُواْ } للكفار وتقدم الكلام على { أَسَاطِيرُ الاْوَّلِينَ } { اكْتَتَبَهَا } أي جمعها من قولهم كتب الشيء أي جمعه أو من الكتابة أي كتبها بيده ، فيكون ذلك من جملة كذبهم عليه وهم يعلمون أنه لا يكتب ويكون كاستكب الماء واصطبه أي سكبه وصبه . ويكون لفظ افتعل مشعراً بالتكلف والاعتمال أو بمعنى